أثر الإيمان بالله تعالى في حياة العبد المسلم

د. خليل إبراهيم أحمد(*)
كلية العلوم الإسلامية / جامعة الموصل

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد : فقد كتب العلماء الاجلاء كثيرا في الإيمان بالله تعالى، وذكروا أصوله ونواقضه، وأسهبوا في ذكر ذلك حتى تنوعت مصادرهم وكثرت مراجعهم وخدموا قضية الإيمان بالله تعالى خدمة لا يجازون عنها الا بدخول الجنة. ثم جاء من بعدهم من عُني بذكر آثار ذلك الإيمان وثماره، الذي يجب على العبد المؤمن، والذي يظهر على جوارح العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة. فلا يكفي في الإيمان ان نتعلم أصوله ونواقضه، بل الواجب ان نتعرف أيضا على ما ينتج عن هذا الإيمان من أثر وثمر، فنسارع الى هذه الآثار والثمار فنعمل بها حتى يتحقق الإيمان بالله تعالى كله في نفوسنا وقلوبنا فكانت هذه المساهمة مني في بيان آثار الإيمان في حياة العبد المسلم، راجياً من الله تعالى التسديد في القول والعمل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

SUMMARY

Praise be to Allah and pray and peace be upon the messenger of Allah and upon his relatives and companions and those who follow him.

After that, the magnificent scientists have written too much about faith in God Be Glorified and have mentioned its origins and its annulments. And they have elaborated in mentioning this until

---

(*) مدرس في قسم الشريعة.

their source have varied and their references have increased. And thy have served the issue of faith in God Be Glorified a service which cannot be rewarded on it but only be entering heaven. Then came after them those who are concerned with the mentioning of the traces and the fruits of tat faith, which is obliged on the faithful slave and which appear on the senses of the slaves and their appeared and hidden doings. It is not enough in faith to leave its origins and its annulments, but it must get acquaintance with what is produced from that faith from trace and fruit, and harry to those traces and fruits and behave with it to achieve all the faith in God Be Glorified in ourselves and our hearts. Then, this paper comes as a contribution in clarifying the traces of faith in the life of the Muslim slave, and wishing from God Be glorified the straightforward in the saying and in the doing and peace be upon our head Mohammed and his relatives and companions.

المبحث الأول : الإيمان بالله تعالى

أولاً : الأصل في الإيمان بالله تعالى

لقد وردت آيات في القران الكريم تدعو العبد المسلم الى الإيمان بربه وخالقه ومن أعظمها قوله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ (سورة النساء : الآية ١٣٦) وقد ورد في السنة النبوية ما يدعو العبد المسلم الى الإيمان بربه وخالقه، كما جاء ذلك مفصلا في حديث جبريل ﷺ. فعن عمر بن الخطاب (ﷺ) قال : ((بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس الى النبي (ﷺ) فأسند ركبته الى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام. فقال رسول الله (ﷺ) : الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (ﷺ)، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا. قال : صدقت. قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال : فأخبرني عن

الإيمان. قال : الإيمان ان تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الاحسان. قال : ان تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: ان تلد الأمة ربتها، وان ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاه يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق فلبثت مليا. ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال: فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))(١).

ثانياً : ما يتضمنه الإيمان بالله تعالى

تباينت أقوال العلماء فيما يتضمنه الإيمان بالله تعالى والذي درج عليه كثير من العلماء ان الإيمان بالله تعالى يتضمن :

أ. وجود الله تعالى.

ب. الإيمان بربوبية الله تعالى.

ج. الإيمان بألوهية الله تعالى.

د. الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

أولاً : وجود الله تعالى

ان الإيمان بوجود الله تعالى أمر قد استقر عند البشر، فطرة، وعقلا، وشرعا، وحسا، وهذه الأمور كلها منفردة او مجتمعة دلت على وجود الله تعالى ووجوب الإيمان به.

١. **أما دلالة الفطرة على وجود الله تعالى فانها من أكبر الحقائق وأجلاها وأظهرها وأولاها، والعبد مفطور على ذلك من غير شك وارتياب.**

يقول ابن القيم رحمه الله : "ومعلوم ان وجود الله تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما"(٢).

لا يحتاج صاحب الفطرة السليمة الى إعمال فكره ونظره لاثبات وجود الله تعالى، وانما يحتاج المؤمن الى تأكيد ما أدركه بفطرته السليمة فيزداد المؤمن إيماناً بربه وخالقه.

وعن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ): ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه))(٣).

قال ابن حجر رحمه الله : "وقال ابن القيم : ليس المراد بقوله : يولد على الفطرة، أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين، لأن الله يقول ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ (النحل : ٧٨) ولكن المراد ان فطرته مقتضية لمعرفة دين الاسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الاقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك، لأنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلا بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد ان كل مولود يولد على إقراره بالربوبية فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك الى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه الصارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن، بل كانت اياه في تأويل الرؤيا والله أعلم"(٤).

فوجود الرب سبحانه وتعالى أوضح من ان نقيم عليه الدلائل الكثيرة والبراهين، ذلك ان الشعور الإيماني بخالق للكون ومدبر له، أمر قد فطر الله تعالى الناس عليه، قال تعالى ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ (الروم : ٣٠).

٢. دلالة العقل على وجود الله تعالى

إذا تركت الفطرة السليمة على براءتها الأصلية، ولم يطرأ عليها ما يصرفها عن حقيقتها، ومن دون أي تأثير خارجي عليها، اهتدت بكل اطمئنان الى وجود ربها وخالقها سبحانه فكذلك العقول المستقيمة، اذا ما تجردت عن الهوى فإنها تصل من دون شك الى معرفة وجود ربها وخالقها. فهذه المخلوقات والآفاق والأكوان سابقها ولاحقها لم تكن لتخلق نفسها بنفسها، بل لابد لها من خالق أوجدها وأحدثها، فكل حادث ومخلوق لابد له من محدث وخالق، اذ يستحيل ان يخلق نفسه بنفسه.

يقول ابن تيمية بعد ان ذكر الآيات القرآنية الدالة على خلق الانسان : "فالاستدلال على الخالق بخلق الانسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل عليها القران وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية، فان نفس كون الانسان حادثا بعد ان لم يكن، ومولودا ومخلوقا من نطفة ثم من علقة، هذا لم يعلم بمجرد

خبر الرسول، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم، سواءا أخبر به الرسول او لم يخبر، لكن الرسول أمر ان يستدل به وَدَل به وبينه واحتج به فهو دليل شرعي لأن الشارع استدل به وأمر ان يستدل به، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته"(٥).

ان مسلك الاستدلال بحدوث العالم على وجود الله تعالى، وان كان دليلا عقليا الا ان القران الكريم نبه عليه وأرشد إليه، سالكا بالمخاطبين سبيل الحس والمشاهدة لادراك حدوث العالم عن طريق حدوث أعيان الأشياء وتغيرها، كحدوث الانسان نفسه، وحدوث السحاب، وإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنبات وغيرها. قال تعالى ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة : ١٦٤) فالله تعالى يذكر في كتابه ان في خلق الأعيان القائمة بنفسها، والتي يدركها الانسان إدراكا مباشرا، آيات ودلائل يستدل بها على وجود محدث وخالق وموجد لها، كما يذكر أيضا خلق الاعراض كقوله تعالى ﴿**وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ**﴾ فالرياح أعيان وتصريفها اعراض لها، وكلاهما يدرك بالحس. فخلق الانسان والسماء والأرض والماء والليل والنهار، كلها أعيان حدثت بعد ان لم تكن، ووجودها بعد عدمها يدل على ان لها موجدا(٦).

ومن الآيات العظيمة في هذا الشأن قوله تعالى : ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ**﴾ (الطور : ٣٥-٣٦) فالله تعالى يبين لعباده أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولاهم الذين قاموا بخلق أنفسهم فتعين بعدئذ ان يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى.

٣. دلالة الشرع على وجود الله تعالى

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل عليهم الكتب، وتلقاها المؤمنون من اتباع أولئك الرسل بالقبول والتصديق، ولم يعرف عنهم ان شك او شكك أحد منهم في أنها وحي الله عزوجل وأنها كتبه أنزلها على رسله وأنبيائه. فهذه الكتب كلها ناطقة بوجود الله تعالى، ووجوب الإيمان به ووحدانيته، وما تضمنته من الأحكام الشرعية التي نظمت شؤون البلاد

ومصالح العباد، دليل على أنها نزلت عليهم من حكيم عليم بمصالح خلقه وعباده، وما تضمنته من الأخبار الكونية التي شهد الواقع والحال بصدقها وما أكثرها في القران الكريم، دليل على أنها من رب حكيم قادر على إيجاد ما أخبر به(٧).

٤. دلالة الحس على وجود الله تعالى

يدرك المتأمل في حال العالم والكون وما فيه من خلق عظيم حوله، ان هذا الكون المحسوس لا بد ان يكون له موجد أوجده وخالق خلقه.

يقول الامام الغزالي رحمه الله في هذا الشان : "... ووجود الله، وقدرته، وعلمه، وسائر صفاته، يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر، ونبات وشجر، وحيوان، وسماء وأرض، وكوكب وهواء، وجوهر وعرض، بل أول شاهد عليه أنفسنا، وأجسامنا، واوصافنا، وتقلب أحوالنا، وتغير قلوبنا، وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا ... وجميع ما في العالم شواهد ناطقة، وأدلة شاهدة على وجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته، والموجودات المدركة لا حصر لها"(٨).

وهذا المسلك الذي سلكه الامام الغزالي في الاستدلال على وجود الله تعالى بالمحسوس والمدرك لما حولنا، استدل به أيضا الحافظ ابن القيم رحمه الله فقد قال : "تأمل حال العالم كله علويّه وسفليّه بجميع أجزائه، تجده شاهدا بإثبات صانعه وفاطره ومليكه، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العالم وجحده لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق، والفعال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزاكية المشرقة العلوية، والفطر السليمة، أظهر في العكس"(٩).

وهناك مسلك آخر قرره أهل العلم في الاستدلال بالحس على وجود الله تعالى، يتلخص في وجهين أثنين ذكرهما الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فقد قال :

"وأما دلالة الحس على وجود الله تعالى فمن وجهين :

الوجه الأول : أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى. قال تعالى ﴿**وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**﴾ (الأنبياء : ٧٦) وقال تعالى ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾ (الأنفال : ٩).

وفي صحيح البخاري عن أنس ان أعرابيا دخل يوم الجمعة والنبي (ﷺ) يخطب فقال : يا رسول الله هلكت المواشي، وتقطعت السبل فادع الله، فدعا الله فمطرنا من الجمعة الى الجمعة، فجاء رجل الى النبي (ﷺ) فقال : تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي، فقال رسول الله (ﷺ) : اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر فأنجابت عن المدينة انجياب الثياب[١٠] وما زالت إجابة الداعين أمرا مشهودا الى يومنا هذا لمن صدق اللجوء الى الله وأتى بشرائط الاجابة.

الوجه الثاني : ان آيات الأنبياء التي تسمى بالمعجزات يشاهدها الناس او يسمعون بها برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدا لرسله ونصرا لهم مثال ذلك : آية موسى (ﷺ) حين أمره الله تعالى ان يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثنى عشر طريقا يابسا، والماء بينهما كالجبال، قال تعالى ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ (الشعراء : ٦٣). ومثال ثان : آية عيسى (ﷺ) حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم باذن الله، قال تعالى عنه : ﴿**وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ (آل عمران : ٤٩) ومثال ثالث لمحمد (ﷺ) حين طلبت منه قريش آية، فأشار الى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿**اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾ (القمر : ١-٢) فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييدا لرسله، ونصرا لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى[١١].

ثانياً : الإيمان بربوبية الله تعالى

قال المقريزي رحمه الله : "إعلم ان الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه وإلهه، فالرب مصدر (رَبَّ يرُبَ ربا فهو راب) فمعنى قوله تعالى ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ راب العالمين، فان الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم والمتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا"[١٢].

معنى الربوبية

فالربوبية معناها إذن : الاعتقاد الجازم أن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، والإيمان بالربوبية يتضمن إثبات الخلق، والملك، والرزق، والتدبير، وكل أنواع التصرف في الكون كله لله تعالى وحده رب كل شيء.

فالواجب على العبد ان يؤمن بان الله تعالى هو المتفرد بالخلق والملك، خالق السماوات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والأنهار والبحار، منزل القطر، مجري السحاب، مالك يوم الدين، ومالك النفع والضر، ومالك كل شيء، لا يعجزه شيء، وكل شيء أمره وتدبيره بيده رب كل شيء قال تعالى : ﴿**إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأعراف : ٥٤) وكذلك هو المتفرد بتدبير شؤون الخلق ورزقهم، وهو على كل شيء قدير ليس له في ذلك ند ولا شريك.

قال تعالى : ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا**﴾ (هود : ٦) فالربوبية : إفراد الله تعالى بأفعاله من الخلق، والملك، والتدبير وغيرها.

"فإفراده بالخلق : ان يعتقد الانسان أنه لا خالق الا الله، قال تعالى (**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**) فهذه الجملة تفيد الحصر لتقديم الخبر، اذ أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر ... وأما إفراد الله بالملك : فان نعتقد أنه لا يملك الخلق الا خالقهم ؛ كما قال تعالى ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾. وأما إفراد الله بالتدبير : فهو ان يعتقد الإنسان أنه لا مدبر الا الله وحده كما قال تعالى ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ (يونس : ٣١-٣٢) فلم يجحد أحد توحيد الربوبية لا على سبيل التعطيل ولا على سبيل التشريك، الا ما حصل من فرعون ؛ فإنه أنكره على سبيل التعطيل مكابرة، فنسب الى الله تعالى العطل

من ربوبيته وأنكر وجوده، قال تعالى حكاية عنه ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى**﴾ (النازعات : ٢٤) ... وأنكر المجوس الربوبية على سبيل التشريك، إذ قالوا : ان للعالم خالقين هما للظلمة والنور [١٣].

وقد فطر الله تعالى الخلق أجمعين على الإيمان بالربوبية، الاّ من خالط فطرته أدران الالحاد، كحال الشيوعيين والملاحدة، بل ان الله تعالى قد أخبر عن مشركي العرب أنهم كانوا على الإيمان بالربوبية مع إنكار الإيمان بالألوهية، فقال تعالى ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ (الزخرف : ٨٦-٨٧).

وأخيرا نقول : ان المشركين الذين أمنوا وأقروا بالربوبية، لا يكفيهم في حصول الاسلام لهم، بل يجب عليهم بعد إقرارهم بالربوبية الإيمان بالألوهية لله رب العالمين.

ثالثاً : الإيمان بالوهية الله تعالى

ان الكلام عن الإيمان بالألوهية لله تعالى وإفراده سبحانه بالعبادة يشمل الأمور الآتية :

١. معنى الألوهية لله تعالى

الألوهية لغة : مشتقة من كلمة (إله) بمعنى المعبود والمطاع، فالإله هو المألوه أي المعبود. والإله يطلق ويراد به المعبود بحق، كقوله تعالى ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، (البقرة : ٢٥٥) وقد يطلق ويراد به الإله والمعبود بالباطل كقوله تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ (الجاثية : ٢٣) ثم غلب بعد ذلك استعماله على الإله الحق وصار معناه : هو من تؤلهه القلوب حبا وتعظيما وإجلالا[١٤]. وأما معناه في الشرع فقد بينه ابن تيمية بقوله : "الإله هو الذي يؤله له، فيعبد محبة وانابة، واجلالا وإكراما ..."[١٥].

أما المقريزي فقد بينه بقوله : والإلهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوبا مألوها ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل، ونحو هذه الأشياء"[١٦].

فالألوهية مبناها ومعناها قائم على إخلاص العبودية لله تعالى وحده في باطنها وظاهرها، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه. فالمؤمن بالألوهية يعبد الله وحده، ولا يعبد غيره فيخلص لله المحبة والخوف، والرجاء والدعاء، والتوكل والتذلل، والطاعة والخضوع، وجميع أنواع العبادة وأشكالها.

٢. تحقيق الألوهية

ولا يتحقق إخلاص العبادة لله تعالى الا "بنفي استحقاق العبادة عن غيره تعالى، ثم إثبات استحقاق العبادة لله تعالى، فيبدأ الانسان بتصفية قلبه من التعلق بغير الله تعالى، ثم بعد ذلك يصرف كل أنوع التعلق والتأله لله تعالى، كما قال عز وجل ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا**﴾ (البقرة : ٢٥٦)، فبدأ بالكفر بالطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله راضيا بالعبادة ثم أثبت الإيمان والعبودية لله تعالى. وقال عز وجل ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ (محمد : ١٩) فنفى الألوهية واستحقاقها عن غير الله، ثم أثبتها لله عزوجل وحده، هذان الأمران هما جماع دعوة المرسلين، كما قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ (النحل : ٣٦). وهذا هو حقيقة معنى شهادة التوحيد وكلمة الاخلاص، وهي ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ فمعناها لا مستحق للعبادة الا الله تعالى وحده فـ ﴿**لَا إِلَهَ**﴾ نفت استحقاق العبودية عن غيره تعالى، و﴿**إِلَّا اللَّهُ**﴾ أثبت العبادة لله وحده دون سواه"[١٧].

رابعاً : الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته

لقد تضافرت الآيات القرآنية في الكتاب على إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تبارك وتعالى، فالله سبحانه وتعالى سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بأوصاف، وأمر عباده ان يدعوه ويصفوه بها. فالواجب على العبد المسلم ان يؤمن بهذه الأسماء والصفات الدالة على كل كمال، والتي أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له نبيه (ﷺ) في سنته. وأنه يجب على العباد ان يتوجهوا الى ربهم بالدعاء بهذه الأسماء الحسنى التي سمى الله تعالى بها نفسه المقدسة، وان يدعوه ويتقربوا اليه بها، وان يتعرفوا الى ربهم بما وصف به

نفسه ووصفه بها نبيه (ﷺ) فالله تعالى أعرف وأعلم بما يسمي به نفسه أو يصفها بها فما ثبت في الكتاب والسنة وجب إثباته على الوجه اللائق بالله تعالى.

يقول ابن تيمية في تقرير الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته :

"ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد (ﷺ) من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل بل يؤمنون بان الله سبحانه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ (الشورى : ١١) فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ؛ لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له. ولا يقاس بخلقه، فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون"[١٨].

فالإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، دون تجاوزها بالنقص او الزيادة او التحريف او التعطيل او الالحاد فيها، هو الواجب على كل عبد مكلف يؤمن بالله تعالى.

الأدلة على وجوب الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته

لقد درج علماء الاسلام على ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ووجوب الإيمان بها، والاستدلال عليها من الكتاب والسنة.

ومن العلماء الذين لهم حضور مشهود في هذا الباب الامام البيهقي رحمه الله، ومن أنفس كتبه في هذا الباب (كتاب الأسماء والصفات) فقد قال فيه ابتداء "اثبات أسماء الله تعالى ذكره بدلالة الكتاب والسنة واجماع الأمة"[١٩].

ثم شرع بعد ذلك بذكر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي استدل بها على ما قرره من وجوب اثباتها ثبوتا حقيقيا لله تعالى.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (الأعراف : ١٨٠).

وقال تعالى ﴿هُوَ اللَّـهُ الَّـذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ عَـالِمُ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ هُـوَ الـرحمن الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّـهُ الْخَـالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَـهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر : ٢٢-٢٤).

ومـن أدلـة السـنة مـا رواه ابـو هريـرة (رضي الله عنه) عـن النبـي (ﷺ) قـال : "ان لله تسـعة وتسعين اسما مائة الا واحدا، من أحصاها دخل الجنة"[٢٠].

المبحث الثاني : آثار الإيمان بالله تعالى وثماره

ان الإيمان بالله تعالى اذا ما وقر في قلب العبد، كان له آثار طيبة عظيمة في الدنيا والآخرة، فان الرفل في خيرات الدنيا والآخرة، ودفع الشرور والمكاره كلها من آثار هذا الإيمان الذي خالطت بشاشته القلوب وظهر وبان أثره في عمل العبد المسلم.

وآثار الإيمان بالله تعالى وثماره هي الترجمة الفعلية والبرهان العملي على صدقه وفهمه فهماً صادقاً لحقيقته، فان شجرة الايمان اذا نمت في القلب أثمرت ثم اينعت نعماً لا تُعد ولا تحصى. أما اذا فقد الإيمان من قلب العبد فإنه ولا شك يظهر الفساد والافساد في البر والبحر ولا قبل لأحد حينئذ في رده الا اذا شاء الله، وبالرجعة الصادقة من جديد الى الإيمان بالله تعالى.

والكلام في هذا المبحث عن هذه الثمار والآثار التي تظهر على العبد، والتي يتفيأ ظلالها ويتنعم بآثارها ؛ وسأذكر بعون الله أظهر هذه الآثار وأشملها، حتى نتعلم كيف نربط هذا الإيمان بالواقع العملي، واقع النفس والحس والشعور به، أي الاطمئنان إليه، والرغبة فيه على أكمل وجه وأبهى صورة، واقع الحياة في محاولة إظهاره للناس على هذه الصورة السهلة المرغوب فيها بلا تعقيد ولا تنفير، حتى يعلم حقيقة هذا الإيمان الذي امتدت صورته المشرقة لتشمل كل ما فيه سعادة البشرية، وليس كما يظن البعض ان الإيمان بالله كلمات جوفاء لا أثر لها ولا ثمر في دنيا الناس[٢١].

وقد تكلم العلماء في آثار الإيمان بالله تعالى وثماره، وأكثر من أشار الى ذلك الامام أبن القيم رحمه الله في مجموعة من كتبه، وأفاد منها أهل العلم من بعده، فرتبوا

الآثار ترتيبا متنوعا ما بين الآثار البدنية، والقلبية، والدنيوية، والأخروية[٢٢]، ومنهم من قام بترتيبها ترتيبا عاما[٢٣] والذي أختاره تقسيم الآثار والثمار الى ما يأتي :

أولاً : ثمرات الإيمان بالله تعالى الدنيوية وآثارها

١. افراد الله تعالى بالعظمة

وذلك لأن المؤمن بالله تعالى "يؤمن بربوبية الله تعالى لهذا الكون كله، وعندما يرى مظاهر العظمة الربانية فيما حوله من المخلوقات والكائنات ؛ وما يبدو فيها من عظمة الخالق عزوجل، وقدرته التي ليس لها حدود، ومتى ما آمن بأن الله تعالى متصف بكل كمال متنزه عن كل نقص، وأنه قد أعجز خلقه أن يحيطوا به علما، او يدركوا له كنها وحقيقة حينما يرى كل ذلك ويؤمن به فلا بد ان يمتلئ قلبه بتعظيم الله عزوجل، تعظيما لا يدانيه ولا يقاربه تعظيم، بحيث تتصاغر في قلبه مقادير الخلائق كلها، ولا يرى أمامه عظيما حق العظمة، جليلا حق الجلال سوى الله تعالى"[٢٤].

٢. التوبة

قال تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ (التحريم : ٨) فالتوبة من الآثار التي لا تفارق العبد المؤمن، فإنه اذا ما فعل ما يفسد عليه إيمانه عاد ورجع وتاب وأناب الى ربه، فإنه لا يرى ذنبه كذباب وقف على أنفه ففعل بيده هكذا فطار، وإنما يراه كجبل يريد ان ينقض عليه، مخافة ورهبة وطاعة لله تعالى يقول ابن القيم في هذا المعنى :

"[ومنزلة التوبة] أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه الى الممات"[٢٥] ولهذا كان فرح الله تعالى شديدا بتوبة عبده، كما روى ذلك أنس ابن مالك قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته فبينا هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح))[٢٦].

٣. محبة الله تعالى

إذا ما تحلى العبد بالإيمان وتخلى عن سوى الله سبحانه وتعالى، وأفرغ قلبه من كل شيء، فان القلب لا يكون ممتلئاً الا بمحبة الله تعالى التي لا تضاهيها محبة لاحد. فاذا تحققت هذه المحبة فالعبد لا يلتفت يمينا او شمالا الا وجد الله تعالى بقربه، فلا يعمل العبد بعدئذ عملا الا كان في طاعته وعبادته. قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾ (البقرة : ١٦٥).

وقال (ﷺ) (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وان يجب المرء لا يحبه الا لله ... الحديث)[٢٧].

٤. الرهبة والخوف من الله تعالى

متى ما عرف العبد المؤمن أنه ممتحن في هذه الحياة الدنيا، وأنه سائر الى ربه، وان من ورائه موتاً وقبراً وسؤالاً وعذاباً ثم قياماً من جديد لحشر ونشر وسؤال أيما سؤال وصحف وصراط، وكل صنوف العذاب بدءا من القبر وانتهاء الى الجحيم، متى ما أيقن المؤمن ان الله تعالى قد أعد له ذلك كله، دخل الخوف والرهبة في قلبه ملأ عليه دنياه، ودفعه ذلك للاقبال على الله تعالى بكليته طامعا بفعل الخيرات وترك المنكرات التي تقربه من الله تعالى وتبعده عن كل عذاب وجحيم.

قال تعالى ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (النحل : ٥٠) وقال تعالى ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران : ١٧٥).

يقول الحافظ ابن حجر في بيان مراتب الخوف من الله تعالى :

"هو من المقامات العلية، وهو من لوازم الإيمان، قال الله تعالى ﴿**وَخَافُونِ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ وقال تعالى ﴿**فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ وقال تعالى ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ ... وكلما كان العبد أقرب الى ربه كان أشد له خشية ممن دونه، وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ والأنبياء بقوله ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾

وإنما كان خوف المقربين أشد لأنهم يطالبون بما لا يطالب بـه غيرهم فيراعون تلك المنزلـة، ولأن الواجب لله منهم الشكر على المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلـة، فالعبد ان كان مستقيما فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى ﴿**يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ او نقصان الدرجة بالنسبة. وان كان مائلا فخوفه من سوء فعله. وينفعه ذلك مع الندم والاقلاع، فان الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها وان يحرم التوبة، او لا يكون ممن شاء ان يغفر لهم، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه ان يدخله فيمن يغفر له"[٢٨].

٥. الرجاء وحسن الظن بالله تعالى

قال تعالى : ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ (الكهف : ١١٠).

(وعن جابر (ﷺ) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) قبل وفاته بثلاث يقول : لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن بالله الظن)[٢٩].

في الآية الكريمة والحديث الشريف دلالة على حاجة العبد المؤمن الى حسن الظن بربه ورجاء ما عنده من الخير، فان اليأس والقنوط من رحمة الله مع كونه من الكبائر الا أنه أيضا يفقد الإيمان أهم ثماره وآثاره وأعظمها يقول ابن القيم رحمه الله :

"القلب في سيره الى الله عز وجل، بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا ان يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره"[٣٠].

٦. ثبات القلب في التوكل على الله تعالى وحده

ان من آثار الإيمان بالله تعالى ثبات القلب في التوكل على الله تعالى وحده، والاعتماد عليه بالكلية، وصرف الأنظار إليه، وعدم الالتفات الى سواه، لأن القلب المؤمن القائم على ان الله تعالى هو خالق الخلق ومدبر أمره؛ ورازقه ومالكه، ومصرف أمره

واحواله، وأنه تعالى لا يعجزه شيء وليس بحاجة الى شيء، وان أمره بين الكاف والنون، واذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، هو الذي يدفع صاحبه الى الاعتماد بالكلية على الله تعالى والتوكل عليه دون صرف النظر الى غيره فالكل عاجز ومفتقر إليه.

يقول تعالى في كتابه العزيز آمراً عباده بالتوكل عليه ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (المائدة : ٢٣) ويقول تعالى أيضا ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (الأنفال : ٢). يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره عند بيان معنى التوكل : "﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ أي لا يرجون سواه، ولا يقصدون الا إياه، ولا يلوذون الا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج الا منه، ولا يرغبون الا إليه ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل على الله جماع الإيمان"[٣١] فالتوكل على الله تعالى وصدق اللجوء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، هو الأصل الجامع الذي تتفرع عنه كل الأفعال، ويثمر فيه كل مقام شريف عظيم من المحبة والخوف والرجاء والرضى بقدره خيره وشره والاستسلام له ربا وإلها وخالقا.

٧. إخلاص العمل لله تعالى والثبات عليه

أمر الله تعالى عباده بالعمل والطاعة له، وحثهم على ذلك في كثير من آياته وجعل مدار قبول العمل كله على الاخلاص له، فمن أخلص قُبِل عمله ومن لا فلن يقبل عمله. والناس في قبول هذا الأمر مختلفون، ولكن من وقر الإيمان في قلبه وصدق في عمله أخلص لله تعالى في كل شيء، ولم يصرف منه شيئا لغيره تعالى فلا يكونن طامعا في شهرة او تسميع او رياء.

قال تعالى ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ (البينة : ٥). تلا الفضيل بن عياض قوله تعالى ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ (الزمر : ٢) ثم قال : "هو أخلصه وأصوبه قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : ان العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وان كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون

خالصا صوابا. والخالص : ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾(الكهف : ١١٠)[٣٢].

٨. محبة الله تعالى والتعرف عليه

ان من اعظم ثمار الإيمان بالله تعالى وآثاره، محبته وطاعته، والحرص على عبادته والشوق إلى لقائه. فالعبد المؤمن إذا ما امتلأ قلبه بمحبة الله تعالى، واتسعت تلك المحبة فلا يبقى في القلب حيز لمحبة أحدٍ من خلق الله تعالى يضاهي حيز محبته له تعالى ، فحينئذ يصبح القلب فارغاً من ذكر كل شيء سوى الله تعالى. وسر ذلك ان العبد إذا تعرّف إلى الله تعالى بخلقه وارضه وسمائه ونجومه وسائر مخلوقاته، وعَرَف ما يتصف به الخالق تعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال، وأنه هو الرزاق المعز المذل، القادر على كل شيءٍ لا يعجزه عن شيءٍ شيء، امتلأ قلبه بمعرفة الله تعالى التي لا تقاربها ولا تدانيها معرفة، وأدرك أنه تعالى هو المحبوب على الحقيقة الذي يجب له الانقياد في السر والعلن.

٩. الاقبال على الطاعات وهجر المنكرات

ان العبد المؤمن بالله تعالى هو الذي رأى كل مظاهر قدرة الله تعالى على خلقه، ورأى عظمته، وملكه وجبروته، واحاطته بمخلوقاته وقدرته عليهم، وانهم صائرون إلى جنة أو نار، فانه يثمر في قلب العبد المؤمن وجوب القيام بكل مأمور وترك كل محظور، فالإيمان إذا دخل شغاف القلوب دفع صاحبه إلى فعل ما يرضي الله تعالى فلا يزيده ذلك الاّ قرباً منه.

قال تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (الاعراف : ٩٦)

١٠. الاقبال على الله تعالى وكثرة ذكره

ان العبد المؤمن هو الذي آمن بخالقه ورازقه، ومدبر أمره واحواله، الذي تصرف له الطاعات، وتقدم بين يديه القربات، خوفا ورهبة منه، هو الذي يقبل عليه العبد بالذكر والدعاء والطلب، فان العبد يكثر من ذكر محبوبه الذي استقام القلب له، تحميداً وتسبيحاً وتكبيراً وتهليلاً ودعاءً واستغفاراً، وكل ما من شأنه فيه ذكر لله تعالى فان من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

ثانياً : ثمرات الإيمان بالله تعالى الأخروية وآثارها

١. حسن الخاتمة

ان العبد المؤمن الذي آمن بربه وخالقه ورازقه وقابضه عند الأجل، وكان من قبل قد استسلم لله تعالى في كل أمره جله ودقه، وأقبل على آخرته تاركا دنياه طمعا لما عند الله تعالى من الأجر والثواب، تكون خاتمته حسنى لا محالة كما أخبر به النبي (ﷺ). فعن البراء بن عازب (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : "ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع عن الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة، أخرجي الى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها"[٣٣].

وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((من كان أخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة))[٣٤].

فالعبد الذي امتلأ قلبه ايمانا بالله تعالى : "واقبل بقلبه وروحه وهمه عليه، فاستسلم له وحده ظاهرا وباطنا، واستوى سره وعلانيته، فقال : لا اله مخلصا من قلبه، وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات الى ما سواه، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيران شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة، فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فطهرته من ذنوبه، وادخلته على ربه، لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها وسرها علانيتها"[٣٥].

٢. مغفرة الذنوب وتكفيرها

ان من اعظم آثار الإيمان بالله تعالى الجامعة هي مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، فالعبد المؤمن الذي آمن بالله تعالى، وانه رب كل شيء وانه تعالى من يعبد وحده وتصرف له الطاعات والعبادات، وانه تعالى من تقدم بين يديه القربات، هو يطمع دائما بمغفرة ذنبه، وتكفير سيئاته، والعودة الى الله تعالى بلا ذنب وبلا خطيئة، وهذا ما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين فقال تعالى : ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ (طه : ٨٢)

فمن تحقق بالإيمان بالله تعالى قلبه، بالله تعالى محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة، وخشية، ورجاء وتوكلا، وحينئذ يحرق إيمانه بربه ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبها عظيم الإيمان بالله تعالى الى حسنات، فان هذا الإيمان هو الاكسير الأعظم، فلو وضعت ذرة منه على جبال الذنوب والخطايا لغفرتها او قلبتها الى حسنات[٣٦].

٣. المؤمن ينجو من عذاب القبر

ينعم الله تعالى على العبد المؤمن بنعم كثيرة، والعبد يرجوها، ولكنه أكثر رجاء الى ما يثبته عند السؤال في قبره بعد الممات، لأنه يدرك أنه من نجا من عذاب قبره نجا مما هو آت بعده فهو يرجو الثبات عند الممات، وهو ما بشر به رب العالمين عباده المؤمنين بقوله ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ (ابراهيم : ٢٧).

قال السعدي رحمه الله في بيان المعاني التي دلت عليها هذه الآية :

"يخبر الله تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين أي الذين تابوا بما عليهم من الإيمان القلبي التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا ... وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الاسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، اذا قيل للميت : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن : الله ربي، والاسلام ديني، ومحمد نبيي"[٣٧].

٤. النجاة من النار

يبتغي العبد المؤمن في الحياة الدنيا عمل الطاعات وتجنب المنكرات، طامعا بما عند الله تعالى وما أعده للمؤمنين من دخول الجنة والنجاة من النار. والمؤمن من أشد الناس اشفاقا على نفسه من النار ودخولها لما فيها من عذاب وجحيم وأهوال لا يقوى عليها أحد من خلق الله عندما يقرأ عنها فكيف اذا ما كان من الداخلين فيها، ولهذا كان سعي المؤمن لدخول الجنة بالعمل الذي يرضى الله تعالى ويبعده عن النار وعن كل ما يقرب منها. ومن هنا بشر النبي (ﷺ) الذين أمنوا وعملوا الصالحات وقالوا لا اله الا الله حقا وصدقا ويقينا، وعملوا بها وبما دلت عليه فعن عتبان بن مالك ان رسول الله (ﷺ) قال : "... فان الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله"[٣٨].

وأخيرا : هذا ما يسر الله تعالى ذكره من الآثار والثمار المتعلقة بالإيمان بالله تعالى، وهذا غيض من فيض، والا فإن ما ذكره العلماء في كتبهم عن هذه الآثار أضعاف أضعاف ما ذكرته في هذه الوريقات، والمقام لا يتسع للبسط وعلى الله تعالى توكلنا في جميع احوالنا.

الخاتمة

اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وارزقنا الاخلاص في القول والعمل وبعد فهذا ما يسر الله تعالى ذكره من مسائل تتعلق بالإيمان بالله تعالى، وآثار ذلك الإيمان وثماره الذي ينجي صاحبه من كل مكروه ويقربه الى كل خير. ومن خلال البحث يتبين :

١. ان الإيمان بالله تعالى ربا وخالقا، ورازقا ومدبرا هو إيمان بربوبية الله تعالى، وان الإيمان بالألوهية هو إيمان بان العبودية لا تكون الا لله تعالى، فالعبادات والطاعات والقربات كلها تصرف الى الله تعالى فإنه هو وحده المستحق لهذه العبادة.
٢. ان الآثار والثمار التي تظهر على أفعال العباد كثيرة جدا، منها ما هو في الدنيا ومنها ما هو في الآخرة، وان كل خير يقوم به العبد فهو أثر من أثار الإيمان، وكل شر يتركه العبد فهو أيضا أثر من آثار الإيمان.

٣. وان من أعظم ثمار الإيمان وآثاره ما يسعى إليه كل عبد مؤمن من الدخول الى الجنة والنجاة من النار، وهذا أثر جامع لكل أثار الإيمان بالله تعالى.

هوامش البحث ومصادره ومراجعه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الايمان، باب بيان الايمان والاسلام والاحسان رقم (٨)، ط١ : بيت الافكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨.

(٢) مدارج السالكين لأبن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، (د.ت) ٦٠/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين رقم (١٣٨٥) ط١، بيت الافكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأبن حجر العسقلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت): ٣/ ٢٤٩.

(٥) كتاب النبوات لأن تيمية ، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ: ص٤٨.

(٦) أنظر كتاب : منهج القران في الدعوة إلى الإيمان للدكتور على بن ناصر الفقيهي ، ط١، بيروت، ١٩٨٤م: ص١٠١-١٠٢

(٧) أنظر شرح أصول الايمان للشيخ ابن عثيمين ، ط١، نشر دار القاسم الرياض، ١٤١٩هـ: ص١٣-١٧.

(٨) إحياء علوم الدين ، دار الندوة، بيروت، (د.ت): ٤/ ٣٢٠.

(٩) مدارج السالكين: ١/ ٥٩.

(١٠) أخرجه البخاري في قصصه : كتاب الاستسقاء، باب اذا استشفعوا الى الامام رقم ١٠١٩.

(١١) شرح أصول الايمان: ص١٦-١٧.

(١٢) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي : أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ ، ط١، دار عمار، تحقيق علي بن حسن الحلبي، الأردن، ١٩٨٧م: ص١٧.

(١٣) كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين ، ط١، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة (القاهرة)، (د.ت): ص٦٠٥

(١٤) ينظر : لسان العرب لأبن منظور، ط٢، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م: (مادة أله) ١/ ١٨٨.

(١٥) كتاب التوحيد لأبن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، ط٣، مؤسسة علوم القران، بيروت، ١٩٨٧م: ص١٤٩.

(١٦) تجريد التوحيد المفيد: ص١٥.

(١٧) العقيدة الاسلامية الميسرة للشيخ أبي عمر عبد العزيز بن فتحي ، ط١، الدار المتحدة، دمشق، ٢٠٠٢م: ص١٥.

(١٨) شرح العقيدة الواسطية لأن تيمية، جمع خالد بن عبد الله، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض ١٤٢١هـ: ص٢٥

(١٩) الأسماء والصفات للبيهقي : أحمد بن الحسين ت ٤٥٨هـ ، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥٨هـ: ص٣.

(٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى رقم (٢٦٧٧).

(٢١) ينظر : رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن ابراهيم الحمد (بتصرف يسير)، ط١، دار أبن خزيمة، الرياض، ١٩٩٧م: ص١٤٨.

(٢٢) ينظر : كتاب التوحيد وأثره على العبيد ، للشيخ خميس السعيد محمد، ط١، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٥م: ص١٠٢.

(٢٣) ينظر : العقيدة الاسلامية الميسرة : ص٣٠ ، ٥٣.

(٢٤) المصدر نفسه: ص٣٠.

(٢٥) مدارج السالكين: ١/ ١٧٨.

(٢٦) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب التوبة، باب الحض على التوبة رقم ٢٧٤٤.

(٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الايمان، باب حلاوة الايمان رقم ١٦.

(٢٨) فتح الباري :١١/ ٢١٣.

(٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الجنة ونعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت رقم ٢٨٧٧.

(٣٠) مدارج السالكين ١/ ٥١٧.

(٣١) تفسير أبن كثير ، ط٥، نشر مكتبة السلام، الرياض، ٢٠٠١م: ٢/ ١٢٠٦.

(٣٢) أنظر مدارج السالكين :١/ ٨٣.

(٣٣) أخرجه الامام أحمد في مسنده ، ط١، بيت الأفكار الدولة للنشر والتوزيع، الرياض ٢٠٠٢م: رقم (١٨٧٣٣).

(٣٤) أخرجه ابو داؤد في سننه، كتاب الجنائز، باب في التلقين ، ط١، بيت الافكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م: رقم ٣١١٦.

(٣٥) كتاب الفوائد ، ط١، دار ابن خزيمة الرياض ١٩٩٨م: ص١٤١.

(٣٦) ينظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب، الطبعة الأولى، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠٠٤م: ص ٥٠١

(٣٧) تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط١، مؤسسة الرسالة (ناشرون) بيروت، ٢٠٠٠م: ص٤٢٥.

(٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت: رقم ٤٢٥.